التّنوع اللغوي والثقافي في الجزائر وسبل تعزيزهما

المفاهيم والعلاقات

Linguistic and Cultural diversity in Algeria and ways to promote them.

Concepts and relations

ط.د. خديجة حمداوي*

تاريخ الاستلام: 09 / 04/ 2021/**تاريخ القبـــول:** 11 /05/ 2021

ملخّـص: يعـالج هـذا المقـال ظـاهرة التّنـوع اللغوي، بوصفها وضعا طبيعيا تشهده كل بلدان العالم وتفرضه الضرورة الإنسانيّة تحت مسمى التّنوع الثّقافي، والذي أقرته منظمة اليونسكو العالميّة الكافلة لحقوق الإنسان واحترام حرياته وهويته في ظلّ تعدديّة لغويّة وثقافيّة طبيعيّة والجزائر على غرار تلك البلدان تعيش تنوعا لغويا ثقافيا، لذلك يهدف هذا المقال إلى معالجة أهم المفاهيم والعلاقات التّي تتعلق بالتّنوع اللغوي والثّقافي، وكذا إبراز سبل تعزيزه في الجزائر تحقيقا للتكامل والتّقارب بين مختلف المجتمعات اللغويّة فيه وانفتاحا على الآخر في إطار الحضارة الإنسانيّة والمجتمع الصناعي والعولمة والتّقدم التّكنولوجي، وعلى هذا الأساس جاءت هذه الورقة البحثيّة معنونة بـ"**التّنوع اللغوي والثّقافي في الجزائر وسبل تعزيزهما _المفاهيم والعلاقات_**"

ومن أهم النّتائج التّي توصّل إليها المقال هو تأكيد العلاقة بين اللغة والثّقافة وأنّ كل تنوع لغوي يعبر في الحقيقة عن تنوع ثقافي، وأنّ التّرجمة والإعلام ومواقع التّواصل الاجتماعي من أبرز السّبل التّي تسهم في تعزيز التّنوع اللغوي الثّقافي في الجزائر.

كلمات مفتاحيّة: اللغة_ الثّقافة_ التّنوع اللغوي_ التّنوع الثّقافي_ الحقوق اللغويّة.

Abstract: This article addresses the phenomenon of linguistic diversity, as a natural situation experienced by all countries of the world and imposed by human necessity in the name of cultural diversity, Adopted by UNESCO World Organization for Human Rights and

*جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر،
khadidja.hamdaoui@univ-jijel.dz

Respect for Human Freedoms and Identity in the Context of Natural Linguistic and Cultural Pluralism. Algeria, along the lines of those countries, has a cultural diversity, This article will attempt to address the main ways of strengthening it in Algeria in order to achieve complementarity, convergence and openness among its various linguistic communities within the framework of human civilization, industrial society, globalization and technological progress.

Keywords: Language; Culture; Linguistic Diversity; Cultural Diversity; Linguistic Rights.

مقدمة: قضيّة اللغة من القضايا المرتبطة ارتباطا وثيقا بالجانب العاطفي للجماعات اللغويّة كونها المعبرة عن هويّته والمميِّزة له عن باقي الشّعوب فهي الواجهة التّعريفيّة له، ذلك أنّ كل جماعة إذا ما أرادت البحث عن التّميز والاختلاف عن جماعة أخرى، كانت اللغة هي الوسيلة لتحقيق ذلك التّميّز، وعلماء الأنثروبولوجيا يرون أنّ الجماعة التّي تفتقر إلى لغة خاصة بها، لا يمكنها أن تكون جماعة عرقيّة_ثقافيّة، ولا يمكنها المطالبة بهويّة ثقافيّة أصيلة، فاللغة التّي يستخدمها مجتمع معيّن تعكس الثّقافة العامة لسكانه، وهذا يدفعنا إلى القول أن اللغة جزء من الثّقافة، وأحد عناصرها، ولما كان لهما هذه العلاقات المتبادلة، فإنّه يمكن عدّ اللغة شرط من شروط الثّقافة إلى جانب الدين والعادات والتّقاليد، والاعتراف بتواجد تنوع لغوي في بلد ما هو اعتراف حتمي بتواجد تنوع ثقافي، والجزائر دستوريا لها لغتان وطنيّتان رسميّتان(اللغة العربيّة والأمازيغيّة) يجعلنا نصف الجزائر بالبلد المتنوع لغويا وثقافيا، لذلك تبسط هذه الورقة البحثيّة بعض التّساؤلات من قبيل: ماذا يقصد بالتّنوع اللغوي والتّنوع الثّقافي وما العلاقة بينهما؟ ماهي أهم الالتّزامات التّي تتقيّد بها الدولة لحمايّة الحقوق اللغويّة في ظل الاعتراف بالتّنوع؟ وما هي السّبل الممكنة لتعزيز هذا التّنوع؟ وللإجابّة عن هذه التّساؤلات اعتمدنا المنهج الوصفي التّحليلي.

والهدف من هذه الورقة البحثيّة هو إبراز العلاقة المترابطة بين اللغة والثّقافة مع ذكر بعض النّماذج اللغويّة والاجتماعيّة من المجتمع الجزائري التّي تؤكد على هذا التّرابط والتّكامل والتّقارب بين مختلف التّنوعات(اللغويّة_الثّقافيّة) المتعايشة فيه، بالإضافة إلى أهم السّبل التّي تذكي هذه التّنوع اللغوي الثّقافي.

1- مفهوم التّنوع اللغوي: يرتبط مصطلح التّنوع اللغوي عند الكثير من الباحثين بمصطلح التّعدد اللغوي وأحيانا بمصطلح التّباين وأحيانا أخرى بمصطلح التّغيّر، فنجده مثلا عند:

1- 1- هدسون (Hudson) بمصطلح "نوعيّة اللغة" ويرى أنّه ما يميّز نوعيّة من اللغة، ونوعيّة أخرى، هي الوحدات اللغويّة التّي تتضمنها، فهي بذلك مجموعة وحدات لغويّة لها نفس التّوزيع الاجتماعي[1] ويضيف في موضع آخر أنّ "هذا التّعريف يجعلنا نلح على أن نتعامل مع كل اللغات التّي يستخدمها فرد أو جماعة من متعددي اللغات Multilingual باعتبارها نوعيّة واحدة، ما

دامت كل الوحدات اللغويّة في هذه النّوعيّة لها توزيع اجتماعي متشابه"[2] وعليه فهدسون يرى أنّ استخدام الفرد والمجموعة لعدد من اللغات في إطار اجتماعي معين هو نوعيّة من اللغة وبذلك يكون مصطلح التّنوع مرادفا لمصطلح النّوعيّة.

1- 2- جولييت غارمادي (Juliette Garmadi): تستخدمه بمصطلح التّباين اللساني أو التّلون اللغوي فتقول: "من الممكن أن يتميّز النّشاط اللساني لمتحدث ما، بالتّباين ضمن الالسّن فقط، ذلك التّباين الذي يتجلى في استعمالات وفي بنى منظومة واحدة كذلك من الممكن أن يتميّز هذا النّشاط بالتّباين بين الالسّن، ذلك التّباين القائم بين المنظومات عينها"[3]

1- 3- جيمس ميلوري وليسلي ميلروي (James Melory and Leslie Melory): في نظرهما "التّنوع في اللغة موجود في تجربة كلّ منا في استعماله لها وإنصاته إليها(...) اللغة متنوعة بطبيعتها في عدد من المستويات البنيويّة_في الصواتة والصرّافة والتّركيب بالخصوص"[4] ويفرقان بين النّموذج التّنوعي والمقاربات التّجريبيّة "فالأول يركز على فهم التّغير والتّحول في الأجزاء البنيويّة للغة أكثر من تركيزه على سلوك المتكلمين أو طبيعة التّفاعل بينهم"[5] وعليه فهما يريان أنّ التّغير إذا كان على مستوى البنيّة فهو تنوع لغوي، أما إذا كان التّغير على مستوى الاستعمال فهو تعدد لغوي[6]

ونستنتج مما سبق أنّ التّنوع اللغوي يقترن في كثير من الأحيان بمصطلحات عدّة كالتّعدد والتّباين والتّلون والنّوعيّة والتّغيّر إلا أن أغلب المصطلحات إن اختلفت في المسمى فقط اتفقت في المفهوم وأن التّنوع هو تواجد أكثر من منظومة لغويّة في مجتمع واحد وكل لغة تستعمل في سياق اجتماعي معيّن.

2- مفهوم التّنوع الثّقافي: إنّ الاعتراف بالتّنوع الثّقافي بصفته مكوّنا أساسيّا للحقوق الإنسانيّة هو ظاهرة جديدة[7] ويقصد به "تعدد الأشكال التّي تعبر بها الجماعات والمجتمعات عن ثقافاتها. وأشكال التّعبير هذه يتم تناقلها داخل الجماعات والمجتمعات فيما بينها"[8] وتربط منظمة اليونسكو مفهومه بالهويّة والتّعدديّة بوصفه مصدرا للتبادل والتّجديد والإبداع وأنه ضروري للجنس البشري ضرورة التّنوع البيولوجي بالنّسبة للكائنات الحيّة. وبهذا المعنى، فإن التّنوع الثّقافي هو التّراث المشترك للإنسانيّة، وينبغي الاعتراف به والتّأكيد عليه لصالح أجيال الحاضر والمستقبل[9]؛ أي أن التّنوع الثّقافي يشير إلى التّجانس والائتلاف وقابليّة التّعايش مع مختلف اللغات والثّقافات سواء المحليّة منها أم الوافدة.

3- التّنوع اللغوي في منظومة التّنوع الثّقافي: فمثلما تتنوع التّضاريس الجغرافيّة ومثلما تتنوع الأغاني الشّعبيّة ومثلما تتنوع الألبسة التّقليديّة مشكّلة التّراث الثّقافي لشعب ما، بالإضافة إلى مجمل العادات والتّقاليد والمناسبات، يدخل التّنوع اللغوي أيضا ضمن منظومة التّنوع الثّقافي الذي يزخر به هذا الشّعب، والذي يمثل نقطة قوّة في

تكوين ثقافتها العام، ولفهم التّرابط بين التّنوعيّن يجب التّعرض لقضيّة العلاقة بين اللغة والثّقافة.

3- 1- العلاقة بين اللغة والثّقافة:

أ- مفهوم اللغة: بعيدا عن التّعريفات التّقليديّة التّي يتناولها جلّ الباحثين في أبحاثهم عند التّعرض لمفهوم اللغة، يمكن أن نعرّفها حسب وظيفتها التّي تؤديها في الحياة فهي" لسان يؤكّد به المرء هويّته، يبلور به أفكاره، ويعبّر به عن مشاعره، ويتواصل به مع غيره، يدوّن به تجربته، وينقل إليه تجارب غيره، يطّلع به على تراثه، ويصنع به حضارته، ويحقق به تنميّته"[10]

ب- مفهوم الثّقافة: الثّقافة من المفاهيم التّي يصعب التّحكم فيها أو صقلها في مفهوم واضح، لكن إذا أردنا وضع الثّقافة في تعريف مبسط يمكن أن نقول أنها "تشمل المستويات الداخليّة الملاحَظة (مثل التّقاليد والأعراف والبنى والمخرجات)، وكذلك المستويات الداخليّة المعرفيّة والعاطفيّة التّي يصعب تلمسها (مثل الافتراضات والقيم والمعتقدات والمشاعر والسّرديات والإدراكات). والثّقافة تتمظهر في الأنظمة والمؤسسات، وكذلك في أنماط السّلوك والرّموز والقطع الأثريّة(...) وهي تعمل كعدسات تأويليّة لمستويات هوياتيّة متنوعة"[11] وعليه يمكننا أن نبرز بعض الخصائص التّعريفيّة التّي تشترك في تكوين مفهوم الثّقافة ونجمل ذكرها كالآتي:[12]

- أنّ الثّقافة جماعيّة، تشترك فيها الجماعة.
- أنّ الثّقافة يتم تعلمها learned
- أنها تتعلق بالقيّم والمعتقدات والافتراضات والمواقف والمشاعر.
- أنها تشمل التّقاليد والأعراف.
- أنها تؤثر في السّلوك أو توجهه.
- أنّه يتم نقلها من جيل إلى جيل.
- أنّها غير واعيّة أو ضمنيّة.
- أنّها رد فعل أو تأقلم مع الواقع.

ومن الطبيعي وجود لغة لكل مجتمع من أجل التّعبير عن ثقافته وهذا يبرز العلاقة الوثيقة بين اللغة والثّقافة وقد وضع إدوارد سابير (E. Sapir) نظريّة عن العلاقة بين اللغة والثّقافة تقوم فكرتها على أنّ "اللغة ظاهرة ثقافيّة بل إنّ الثّقافة نفسها هي في النّهايّة لغة، وهو يعرّف اللغة بأنّها نظام للاتصال ووسيلة لتنظيم وتصنيف التّجربة الحسيّة (...) فاللغة موصل للثقافة وتتأثر بدورها بالثّقافة وبالتّالي فإنّ هناك تداخلا بين بنيّة اللغة وتراكيبها وبين نمط الثّقافة، ومن الواضح أنّ نظريّة "سابير" تبطل مقولة أنّ اللغة هي مجرّد أداة حياديّة أشبه بأنبوب يعبر من خلاله أي مضمون نريد توصيله إلى الآخر"[13] وعليّه يمكن أن نقول أنّ اللغة منتوج ثقافي لا وسيلة للتواصل فحسب؛ إذ لا يمكن التّعرف على ماضي الأمم إلا من خلال اللغة التّي تحفظ للأجيال القادمة تاريخها وعاداتها المتوارثة. ولا يمكن أن نتعرّف على ثقافة شعب ما دون لغته كونها باب الولوج إليها.

وما نستنتجه مما سبق أنّ كل تنوع ثقافي يعود في الأصل إلى تنوع لغوي فكل لغة بطبيعة الحال حاملة لثقافة معيّنة.

4- التّنوع اللغوي: اعترافٌ بالحقوق اللغويّة:

الاعتراف بالتّنوع اللغوي في سياسات الدول لهو أمر ضروري لتحقيق الالتئام بين مختلف الجماعات اللغويّة؛ بحيث لم يكن ممكنا مثلا أن يلتئم شمل الاتحاد الأوروبي دون الاعتراف بالتّنوع على المستوى الوطني الرّسمي، درءا للانعكاسات السّلبيّة للأحاديّة اللغويّة(المهيمنة) على الأرصدة التّراثيّة اللغويّة المبلورة للهويات والثّقافات الوطنيّة المتفردة. وهكذا اضطرت المجموعة الأوروبيّة إلى اتخاذ اللغات الوطنيّة الرّسميّة لأوروبا لغات رسميّة في أجهزتها. ووضع الوسائل الماديّة الضروريّة لخدمة هذا التّرسيم[14] على أنّ الاعتراف بالتّنوع اللغوي والحقوق اللغويّة والثّقافيّة يتحدد من خلال:[15]

– حق التّمتع بذاتيّة لغويّة وثقافيّة متميّزة.

– التّمتع بالوسائل الماديّة والمعنويّة لتطوير اللغات الوطنيّة.

– ضمان ممارسة الحقوق اللغويّة والثّقافيّة في مساواة كاملة بين المواطنين.

وعليه فالاعتراف بالتّنوع اللغوي يقتضي بالضرورة الاعتراف بالحقوق اللغويّة والثّقافيّة لمختلف المجتمعات اللغويّة المتعايشة فيما بينها، ويشير مفهوم الحقوق اللغويّة إلى حقوق الإنسان التّي تؤثر على التّفضيلات التّي تتبناها سلطات الدولة والأفراد والكيانات الأخرى وعلى استخدام اللغة من قبل كل هؤلاء(...) ويمكن وصفها على أنّها مجموعة من الالتّزامات تقع على عاتق السّلطة إما باستخدام بعض اللغات في عدد من السّياقات، وإما بعدم التّدخل في الخيارات والتّعبيرات اللغويّة التّي تتبناها الأطراف الخاصّة[16]. وضمان الحقوق اللغويّة يكفله القانون بالدرجة الأولى_تشريعات دوليّة ووطنيّة_ حيث يجب على الدولة الالتّزام في مجال حقوق الإنسان المرتبطة باللغة بما يلي: [17]

– احترام الحقوق اللغويّة واعتبارها جزءا لا يتجزأ من حقوق الإنسان

– قبول التّسامح، والتّنوع الثّقافي واللغوي، والاحترام المتبادل، والتّفاهم بين كافة شرائح المجتمع.

– تبني تشريعات وسياسات تعالج الحقوق اللغويّة وتحدد إطارا واضحا لتطبيقها.

– تنفيذ التّزاماتهم المتعلقة بحقوق الإنسان عن طريق اتباع مبدأ التّناسب حين يتعلق الأمر باستخدام اللغات المختلفة أو دعمها من قبل سلطات الدولة، وإتّباع مبدأ الحريّة اللغويّة حين يتعلق الأمر بالأطراف الخاصة.

– وضع آليات فعالة لتلقي الشّكاوى الموجّهة للهيئات القضائيّة والإداريّة والتّنفيذيّة لمعالجة قضايا الحقوق اللغويّة ووضع حلول لها.

5-التّنــوع اللغــوي في الجزائــر.. "وحــدتنا في تنوعنا":

في الجزائــر تتعــايش اللغــة العربيّــة واللغــة الأمازيغيّة ولكل منها حمولتها الثّقافيّة الخاصّة، التّـي لا يمكـن نكرانهـا فـالواقع يثبـت ذلـك، وهذه الحمولة الثّقافيّة إنّما تعبر عن الثّقافة العامة للجزائـر، "ويمكـن أن نوضـح أكثـر بفكـرة أخـرى: إذا ترجمنـا نصوصـا جزائريّـة مـن اللغـة العربيّة أو من اللغة الأمازيغيّة إلى أي لغة أجنبيّة، ألا نكـون قـد نقلنـا تراثـا جزائريـا واحـدا إلى العالم؟ فأين التّعارض المزعوم بين اللغتين يا ترى؟ ولماذا حساسيّة إحداهما من الأخرى؟[18]

ولتعميـق فكـرة التّنـوع اللغـوي الثّقـافي ومـدى تجلي فكرة التّعايش بين مختلف هذه التّنوعات في الجزائــر نســرد حكايّــة إحــدى الأمهــات الفاضلات، وهي شاويّة حرّة، فجاء على لسانها ولسان مخاطبها الحوار التّالي:" قالتّ لـي: نشـأتُ في إحدى قرى مدينة خنشلة(*)، ولم أكـن أعـرف كلمـة عربيّـة واحـدة حتّـى تزوجـت، فلمّـا انتقلـت إلى عائلة زوجي بدأت أتعلّم من الصفر.. قلتُ لها: هل وجدت صعوبة كبيرة في التّعامل مع المحيط اللغـوي الجديـد؟ قالـتّ لـي: لا.. لم أجـد صـعوبة كبيرة، لأنّ البيئة التّي تزوجت فيها كانت لها نفس العـادات التّي عنـدنا في ريفنـا!.. وأنّ الأشـياء التّي يمتلكونها هـي نفسها التّي كانت عنـدنا، وأنّ الأعمال التّي كـانوا يقومـون بهـا هـي نفسـها التّي كنتُ أُمارسها يوميّا في بيت والدي، وتقول: وجـدتُ نفســي أعــرف كــلّ الأشــياء، ولــذلك اعتبرت الكلمات العربيّة الجديدة كأنّها مجرّد مرادفات إضافيّة فقط للّغة التّي كنت أسمي بها الأشـياء في بيـئتي الأولى"[19] وعليـه فهـذه الأم قـد "اختزلـت كـل النّظريـات اللسـانيّة السّـابقة في تجربتها، بحيـث أنّ الاشـتراك في البيئـة والعـادات والمعتقـدات يسـهل التّعـايش بـين اللغـات إلى أبعـد الحـدود، كمـا يسـهّل الانتقـال بينهـا إلى أبعـد الحـدود"[20] وقـد أوردنـا هـذا الحـوار لأنّ لا شـيء يمكنـه أن يبرز مدى انسـجام المجتمـع الجزائـري وتعايش مختلف التّنوعات اللغويّة فيه أحسن من شـهادات مـن الواقـع تتحـدث بكـل عفويّـة وصـدق دون أي خلفيات إيديولوجيّة قد تحكمها.

6- الاقتراض اللغوي ودوره في تحقيق التّقارب والتّكامل بين التّنوعات اللغويّة في الجزائر:

الاقتراض اللغوي ظاهرة طبيعيّة تتسم بها كل لغـات العـالم ويعـرّف علـى أنّـه:" اللفـظ الـذي يقترضـه أبنـاء اللغـة مـن لغـة أخـرى، حـين يجـدون أنفسهم في مواجهة واقع أو ممارسة ليس لها اسم في لغـتهم، بعـد إجـراء التّكييـف الصّـوتي الـذي تفرضـه اللغـة. وقـد يـؤدي ذلـك أحيانـا إلى ظهـور أصـوات جديـدة في اللّغـة المقترِضـة"[21] ونظـرا لعلاقـة التّقـارب والـتّلاقح القائمـة بـين الثّقافـة العربيّـــة والثّقافـــة الأمازيغيّـــة في الجزائـــر ولاحتكاك لغاتهم نرى "أنّ بعض المفردات العربيّة المستعملة في بلاد الـزواوة (القبائـل)، غـير معروفـة في المناطق النّاطقة بالعربيّة المتاخمة لـزواوة! وهـو ما يعني أنّ اللسـان الأمـازيغي الـزواوي قريـب جـدا من اللغة العربيّة، وأنّه حفظ العديد من المفـردات

العربيّة وأنقذها من الزوال"[22] وندرج بعض الأمثلة عن ذلك كالآتي:[23]

– أمَنْطاسْ: الفأس وفي العربيّة المِنطاس.

– ثافْظيسْثْ: المطرقة، جاء في معجم قاموس المحيط للفيروزآبادي أنّ "الفِطّيس" هي المطرقة العظيمة.

– أنْزَّي أو إنْزي: ركام الحجارة يستعمله سكان الباديّة كمعلم للاهتداء. وفي العربيّة نزا ينزو: ارتفع وعلا.

– ألْغِي: كلمة قبيحة تستعمل لزجر وتوبيخ الشّخص الذي يلقي الكلام على عواهنه. وفي العربيّة: لغِي_ لغىً، أخطأ وتكلّم من غير رويّة وتفكير. ولغا، يلغوا، لغوا: أخطأ وقال باطلا، واللغو ما لا يعتد به من كلام.

– إغِيلْ: الذراع. جاء في معجم القاموس المحيط، الغَيْلُ: السّاعد الممتلئ.

– أمْرار: الحبل. وفي العربيّة المِرار، وجاء في معجم قاموس المحيط: مرّ بعيره؛ أي شدّ عليه الحبل.

– أحُولِي: التّيس (ذكر العنزة) الذي تجاوز همره سنة واحدة بقليل. وجاء في معجم القاموس المحيط:" الحولي: ما أتى عليه حول (السّنة) من ذب حافر وغيره."

– أزَفّارْ: الشّيء الذي تنبعث منه رائحة فاسدة. وفي العربيّة الزفر هو: الرّائحة النّتنة.

– أزنبيل: وسيلة لنقل الزبل والحصى وغيرها، ذات قفّتين توضع على ظهر الدابّة. وفي العربيّة: زنبيل وزنابيل.

وغيرها كثير من الألفاظ الأمازيغيّة ذات الجذر العربي، لكن هذا لا يلغي التّمايز اللغوي بين اللغتين "فوحدة الجذور اللغويّة بين العربيّة والأمازيغيّة ليست مدعاة لإلغاء إحداهما للأخرى، بدليل أنّ لغات أوروبا الجنوبيّة لم يمنعها اشتراكها في وحدة الأصل اللغوي اللاتيني من التّمايز والتّفرع إلى لغات متعددة."[24] إنما هدفنا هو إثبات وإظهار التّلاقح والتّقارب اللغوي بين مختلف التّنوعات اللغويّة المتعايشة في الجزائر، وكيف أنّ الأمازيغيّة قد حوّرت الجذر العربي وما يتناسب معها فنلحظ من الأمثلة السّابقة إضافة سوابق ولواحق لتظهر على أنها كلمات أمازيغيّة صِرفة، لذلك نستنتج أنّ الأمازيغيّة ساعدت العربيّة في الحفاظ على الكثير من الكلمات من الزوال، في حين أنّ العربيّة بذلك أغنت المعجم الأمازيغي بفضل الاقتراض اللغوي.

7- سبل تعزيز التّنوع اللغوي والثّقافي في الجزائر:

7- 1- التّرجمة: وكما أسلفنا القول آنفا حول العلاقة بين اللغة والثّقافة وأنّ اللغة وعاء الثّقافة، فإنّ التّرجمة كفعل لغوي تعد عاملا من عوامل الانفتاح على الآخر والاطلاع على منجزاته وإلى ما وصل إليه في عالم المعرفة

والحياة، من أجل الإفادة والاستفادة من تجارب الثّقافات الأخرى وعدم الانغلاق على ثقافاتنا الوطنيّة وحسب، فلطالما كانت التّرجمة نافذة للتبادل العلمي والثّقافي بين مختلف الأمم، لكن في عالمنا العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة فإن معدل الكتب المترجمة من وإلى اللغات الوطنيّة قليل جدا إن لم نقل أنّ حركة التّرجمة شبه منعدمة إذا ما قارنّاها مع حركة التّرجمة لدى الأمم المتقدمة؛ بحيث تصل نسبة ترجمة الكتب في الوطن العربي مجتمعاً إلى 20٪ من الكتب التّي يتم ترجمتها في اليونان مثلاً. وفي النّصف الأول من ثمانينيات القرن العشرين، كان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون مواطن، على مدى خمس سنوات، هو 4.4 كتب **(أقل من كتاب لكل مليون عربي في السّنة)**، في حين أنه في هنغاريا كان الرّقم 519 كتاباً لكل مليون، وفي إسبانيا 920 كتاباً لكل مليون[25]. وهذه الأرقام تعكس الانغلاق الثّقافي الذي يعيشه العالم العربي وتأخره في مواكبة العالم وتطوراته سواء في الجانب العلمي أم الحياتي؛ لأنّ "التّرجمة تساعد حقا، على الانفتاح وسعة الأفق والتّجدد والتّسامح وقبول الآخر(...) فهي نافذتنا الوحيدة للانفتاح على العالم وللتّعريف بمنجزاتنا الإنسانيّة، لذلك يصبح الاهتمام بالتّرجمة قضيّة أمن ثقافي قومي"[26] وعليه فالتّرجمة السّبيل لنقل واستقبال المعرفة لتعرف الذات موقعها من الآخر، فتتقبله ككيان ثقافي معرفي له خصوصياته وتجاربه في فهم فلسفة الحياة وكيفيّة التّعاطي معها، التّي تختلف عنه والتّي يجب احترامها، فالاختلاف سنّة الحياة.

7- 2- الإعلام: تعد اللغة الوسيلة الأساسيّة التّي يؤدي بها الإعلام دوره، بمختلف الوسائط (إشهار_ مسلسلات_ برامج تلفزيونيّة_ صحافة)، وتعدد اللغات في الجزائر يظهر جليا في اللغة الإعلاميّة وهذا يلعب دورا هاما في تعزيز التّنوع اللغوي الثّقافي في الجزائر_ ظهور مقنن محدد الشّروط والقوانين كي لا يتحول التّنوع هنا إلى صراع في لغة الإعلام_ وذلك من خلال:

– وضع برامج وحصص تخصص لموضوع التّنوع اللغوي الثّقافي الذي تزخر به الجزائر، مما يسهم في نشر وتعزيز قيمته بين مختلف شرائح المجتمع.

– إدراج الأمازيغيّة في المسلسلات الجزائريّة_النّاطقة بالعربيّة_ واعتماد التّرجمة أسفل الشّاشة باللغة العربيّة؛ حيث يُلاحظ أنّ الأمازيغيّة شبه غائبة عن الوسط التّمثيلي، إلا في القناة التّلفزيونيّة الرّابعة النّاطقة بالأمازيغيّة والتّي يُمرّ عليها مرور الكرام كونها غير مفهومة لكثير من الجزائريين الذين لا يجيدونها ولا تتوفر حتى على ترجمة من الأسفل باللغة العربيّة وهذا يشكل قطيعة لغويّة وثقافيّة بين مختلف المجتمعات اللغويّة في الجزائر لذلك من المفترض أن يكون الإعلام موجها لخدمة التّنوع اللغوي والثّقافي.

– تتميّز لغة الإشهار والإعلان في الجزائر بتنوع اللغات (العربيّة_الفرنسيّة) في مقابل غياب

الأمازيغيّة، لذلك فإدراج الأمازيغيّة في مثل هذه النّشاطات الإشهاريّة الموجهة لمختلف فئات المجتمع المدني سيشجع فكرة التّنوع اللغوي، ويذكي العلاقات بين مختلف المجتمعات اللغويّة.

يتيح تنوع اللغات في وسائط الإعلام السّمعيّة البصريّة_الحصص والبرامج التّلفزيونيّة والمسلسلات والإشهارات_ انفتاحا وتسامحا أكبر في المجتمع كونها سلعا ثقافيّة والنّشاط الإعلامي الأكثر انتشارا وتداولا في المجتمع والذي سيساعد على تعزيز مفهوم التّنوع اللغوي والثّقافي وتحقيق الانسجام الجمعي والتّكامل والتّقارب بين مختلف أطياف المجتمع.

7- 3- وسائل التّواصل الاجتماعي: وسائل التّواصل الاجتماعي في مفهومها الأساسي "هي منصات على الإنترنت أو الهاتف المحمول تتيح التّفاعل الثّنائي الاتجاه عبر محتويات ينتجها المستخدمون أنفسهم، فضلا عن التّواصل بين المستخدمين. ومن ثم فوسائل التّواصل الاجتماعي ليست كوسائل الإعلام التّي لا تخرج إلا من مصدر واحد أو من موقع شبكي ثابت، وإنّما هي وسائل للتّواصل عبر منصات صمّمت خصيصا لتتيح للمستخدمين إيجاد(إنتاج) المحتويات بأنفسهم والتّفاعل مع المعلومات ومع مصادرها"[27]. وفي وقتنا الحاضر أصبحت هذه الوسائل ضرورة حياتيّة ملازمة للفرد، لذلك نلحظ مؤخرا ظهور محتويات على مختلف مواقع التّواصل الاجتماعي تعزز أهميّة التّنوع اللغوي في الجزائر، كانتشار العديد من الفيديوهات التّي يقوم بها الكثير من الشّباب لمقارنة الاختلافات اللهجيّة لمسمى واحد بين لهجات الشّرق والغرب الجزائري مثلا أو بين إحدى اللهجات العربيّة واللهجات الأمازيغيّة والتّي تلقى تفاعلات إيجابيّة من طرف مستخدمي هذه المواقع، والذي في رأينا يعزز مفهوم التّنوع اللغوي في الجزائر بتقويّة الرّوابط بين مختلف المجتمعات اللغويّة في الجزائر وتعزيز فكرة أنّ اختلاف الالسّنة المتعايشة في الجزائر ليست إلا تنوعات تعبر عن ثراء ثقافي تزخر به الجزائر، وجب احترامه من قبل كل فئات المجتمع.

7- 4- السّياسة الثّقافيّة: السّياسة الثّقافيّة كغيرها من السّياسات تتطلب تحديد الأهداف التّي تتقاطع وأهداف السّياسة العامة للبلاد والتّي يتبعها تخطيط صارم للوصول إلى هذه الأهداف المسطرة، وعليه فالثّقافة ترتكز على التّخطيط والذي هو عمليّة تقوم بها وتنفذها مؤسسات الدولة، بعدها الجهة القادرة على تنظيم وتسيير الثّقافة في البلاد مع احترام كل الحقوق الثّقافيّة لمختلف المجموعات اللغويّة لذلك وجب إتّباع تخطيط ثقافي من أجل تحقيق تنميّة ثقافيّة ترتكز على التّنوع بالدرجة الأولى.

وهذا يعني أنّ السّياسة الثّقافيّة من المفترض أنها تنطلق في التّخطيط لتحقيق التّنميّة الثّقافيّة من مبدأ التّعدديّة الثّقافيّة وبذلك تلعب دورا مهما في تعزيز التّنوع اللغوي الثّقافي، بوصفها حافزا على الإبداع كما جاء في الإعلان الرّسمي لمنظمة اليونسكو؛ بحيث ينبغي أن تكفل السّياسات

التّقافيّة تهيئة الظروف المؤاتيّة لإنتاج ونشر سلع وخدمات ثقافيّة متنوعة، وذلك عن طريق صناعات ثقافيّة تملك الوسائل اللازمة لإثبات ذاتها على الصعيدين المحلي والعالمي[28] فالسّياسات التّي تعترف بالهويات الثّقافيّة وتشجع ازدهار التّنوع وبناء مجتمعات أكثر اندماجا، لا تؤدي إلى تشرذم أو نزاع أو تنميّة سقيمة أو حكم استبدادي. فمثل هذه السّياسات قابلة للحياة وضروريّة في آن واحد[29]

خاتمة:

وفي الختام يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النّتائج وصلت إليها هذه الورقة البحثيّة نجملها في النّقاط تاليّة الذكر:

– التّنوع اللغوي ظاهرة طبيعيّة وجب على الدولة المعاصرة تقبّلها وتوجيهها وتهذيبها وبما يخدم المصلحة العامة للبلاد.

– العلاقة بين اللغة والثّقافة علاقة وطيدة، بحيث يصعب أن تتعرض لقضيّة الثّقافة دون أنّ تتعرض إلى الأهميّة المركزيّة التّي تؤديها اللغة في تأسيس مفهوم الثّقافة.

– الاعتراف بالتّنوع اللغوي الثّقافي هو اعتراف مباشر بالحقوق اللغويّة الثّقافيّة لمختلف المجتمعات اللغويّة في الجزائر والذي يساعد على تحقيق العدالة اللغويّة في المجتمع.

– التّعدديّة في وسائط الإعلام السّمعيّة البصريّة والمنتجات الثّقافيّة تسهم في تعزيز مفهوم التّنوع اللغوي والثّقافي في الجزائر.

– تعد مواقع التّواصل الاجتماعي مصدرا لها أهميّة بالغة للتأكيد على مفهوم التّنوع اللغوي والثّقافي في المجتمع لأجيال الحاضر والمستقبل كون هذه المواقع الموجة التّكنولوجيّة التّي تجذب شبابنا وجب استغلالها أكثر لتوجيه المجتمع إلى قضيّة أنّ تعدد اللغات والثّقافات إنما يعبر عن غنى وقوة في العلاقات الاجتماعيّة.

– وجب الاعتماد على سياسة ثقافيّة تهدف إلى تحقيق أهداف السّياسة العامة للبلاد وتقوم على مفهوم التّعدديّة من أجل تعزيز التّنوع وتشجيع ازدهاره.

– النّهوض بحركة التّرجمة لأنها سبيلنا للاطلاع على الأمم الأخرى وتقبل ثقافاتها وما وصلت إليه من تجارب ومعارف في فهم الحياة.

– يعد الاقتراض اللغوي بين اللغات الوطنيّة من العوامل اللغويّة التّي تسهم في تحقيق التّكامل والتّقارب بين مختلف التّنوعات اللغويّة في الجزائر.

– الاشتراك في البيئة والعادات والمعتقدات يسهل التّعايش بين اللغات ومختلف الثّقافات التّي تحملها هذه اللغات، ويؤمن انسجام المجتمع فيما بينه.

– وضع قوانين وتشريعات أكثر تحدد مجال استعمال اللغات الوطنيّة؛ قوانين تتسم بالعدالة وتراعي الحقوق اللغويّة والثّقافيّة لمختلف الجماعات اللغويّة، تجنبا للتمييز والإقصاء الذي قد تحسه الأقليات والذي قد لا تتحمل الدولة نتائجه ويدخلها في صراع عرقي طائفي وبالتّالي تفكيك بنيّة الدولة.

المراجع:

الكتب بالعربيّة:

1_ عبد القادر الفاسي الفهري: اللغة والبيئة، منشورات الزمن، الرّباط_المغرب، دط، 2003.

2_ عبد القادر الفاسي الفهري، السّياسة اللغويّة في البلاد العربيّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_لبنان، ط1، 2013.

3_ عزالدين المناصرة: المسألة الأمازيغيّة في المغرب إشكاليّة التّعدديّة اللغويّة، دار الشّروق، دط، دت.

4_ علي خفيف: في الهويّة والأمن الثّقافي، دار الوسام العربي، عنابة_الجزائر، ط1، 2018.

5_محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثّقافيّة وقضايا اللسان والهويّة، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2016.

6_محمّد حفيظ وآخرون: لسانيّات، تخطيط، معرفة، وتربيّة، تكريما لأستاذ الأجيال والخبير اللساني الكبير د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، عمان_الأردن، ط1، 2016.

الكتب المترجمة:

7_ أريك آسبلوند وآخرون: وسائل التّواصل الاجتماعي، دليل علمي للهيئات المعنيّة بالإدارة الانتخابية، مراجعة: حسان شمس، المؤسّسة الدوليّة للديمقراطيّة والانتخابات، دط، 2014.

8_أرمان ماتلار: التّنوع الثّقافي والعولمة، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، لبنان_بيروت، ط1، 2008. 9_جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعيّة، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت_لبنان، ط1، 1990.

10_فلوريان كولماس: دليل السّوسيولسانيات، ترجمة: خالد الأشهب، وماجدولين النّهيبي، مراجعة: ميشال زكرياء، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت_لبنان، ط1، 2009.

11_لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت_لبنان، ط1، 2008.

12_هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة_مصر، ط2، 1990.

المقالات:

13_حنان عواريب: مدخل إلى التّعدديّة اللغويّة، نحو تصور شامل للمصطلح والمفهوم، مجلة الذاكرة، مخبر التّراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشّرقي الجزائري، العدد9، جوان 2017.

التّقارير والإعلانات:

14_ إعلان اليونسكو العالمي بشأن التّنوع الثّقافي، الدورة31، باريس 2 نوفمبر، 2001.

15_ المقرّرة الخاصة التّابعة للأمم المتحدة والمعنيّة بقضايا الأقليات: الحقوق اللغويّة للأقليات اللغويّة، دليل علمي للتنفيذ، جنيف، 2017.

16_ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التّنميّة البشريّة لعام2004، الحريّة الثّقافيّة في عالمنا المتنوع، ترجمة: غسّان غصن، مراجعة: علي القاسمي، مطبعة كركي، بيروت_لبنان، 2004.

17_ مجلس حقوق الإنسان: تقرير الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثّقافيّة، فريدة شهيد: تعزيز وحمايّة جميع حقوق الإنسان، المدنيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، الأمم المتحدة، الدورة 14، 2010.

المواقع الإلكترونيّة:

18 _https://alkhaleejonline.net/

الهوامش:

(1) ينظر: هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة_مصر، ط2، 1990، ص42.

(2) المرجع نفسه، ص43.

(3) جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعيّة، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت_لبنان، ط1، 1990، ص32.

(4) فلوريان كولماس: دليل السّوسيولسانيات، ترجمة: خالد الأشهب، وماجدولين النّهييبي، مراجعة: ميشال زكرياء، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت_لبنان، ط1، 2009، ص105_107.

(5) المرجع نفسه، ص107.

(6) ينظر: حنان عواريب: مدخل إلى التّعدديّة اللغويّة، نحو تصور شامل للمصطلح والمفهوم، مجلة الذاكرة، مخبر التّراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشّرقي الجزائري، العدد9، جوان 2017، ص54.

(7) ينظر:أرمان ماتلار: التّنوع الثّقافي والعولمة، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، لبنان_بيروت، ط1، 2008، ص14.

(8) مجلس حقوق الإنسان: تقرير الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثّقافيّة، فريدة شهيد: تعزيز وحمايّة جميع حقوق الإنسان، المدنيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، الأمم المتحدة، الدورة 14، 2010، ص13.

(9) ينظر: إعلان اليونسكو العالمي بشأن التّنوع الثّقافي، الدورة31، باريس 2 نوفمبر، 2001.

(10) محمّد حفيظ وآخرون: لسانيّات، تخطيط، معرفة، وتربيّة، تكريما لأستاذ الأجيال والخبير اللساني الكبير د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، عمان_الأردن، ط1، 2016، ص295.

(11) عبد القادر الفاسي الفهري، السّياسة اللغويّة في البلاد العربيّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_لبنان، ط1، 2013، ص222.

(12) المرجع نفسه: 221، 222.

(13) محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثّقافيّة وقضايا اللسان والهويّة، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2016، ص162، 163.

(14) ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: اللغة والبيئة، منشورات الزمن، الرّباط_المغرب، دط، 2003، ص14.

(15) ينظر: عزالدين المناصرة: المسألة الأمازيغيّة في المغرب إشكاليّة التّعدديّة اللغويّة، دار الشّروق، دط، دت، ص144.

(16) ينظر: المقرّرة الخاصة التّابعة للأمم المتحدة والمعنيّة بقضايا الأقليات: الحقوق اللغويّة للأقليات اللغويّة، دليل علمي للتنفيذ، جنيف، 2017، ص4.

(17) المرجع نفسه: ص4_5.

(18) علي خفيف: في الهويّة والأمن الثّقافي، دار الوسام العربي، عنابة_الجزائر، ط1، 2018، ص 127.

(*) هي مدينة تقع في شرق الجزائر وأغلب سكانها من الأمازيغ الشّاويّة.

(19) علي خفيف: في الهويّة والأمن الثّقافي، ص127، 126.

(20) المرجع نفسه: ص127.

(21) لويس جان كالفي: حرب اللغات والسّياسات اللغويّة، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت_لبنان، ط1، 2008، ص400.

(22) محمّد أرزقي فراد: الأمازيغيّة وسؤال الانتماء، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، دط، 2016، ص22.

(23) ينظر: المرجع نفسه، ص28_31.

(24) المرجع نفسه: ص44.

(25) ينظر: موقع الخليج أونلاين: أرقام مفزعة.. كم كتاباً يقرأ المواطن العربي في السّنة؟ (-11 04-2016) الزيارة يوم: 28 مارس 2021، السّاعة 10:36. رابط الموقع: https://alkhaleejonline.net/

(26) علي خفيف: في الهويّة والأمن الثّقافي، ص132.

(27) أريك آسبلوند وآخرون: وسائل التّواصل الاجتماعي، دليل علمي للهيئات المعنيّة بالإدارة الانتخابية، مراجعة: حسان شمس، المؤسّسة الدوليّة للديمقراطيّة والانتخابات، دط، 2014، ص11.

(28) ينظر: إعلان اليونسكو العالمي بشأن التّنوع الثّقافي (مرجع سابق).

(29) ينظر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التّنميّة البشريّة لعام2004، الحريّة الثّقافيّة في عالمنا المتنوع، ترجمة: غسّان غصن، مراجعة: علي القاسمي، مطبعة كركي، بيروت_لبنان، 2004، ص2.